فرصة سانحة لينهال على المانيا الدمقراطية ، حكومة وصحافة ، بالتقريع والتجريح لانها جرؤت على مهاجمة الحكومة الاسرائيلية . وتناسى السفير ان النازيين القدامى يجلسون على مقاعد الحكم في المانيا الغربية وليس في الشرقية ، وان العقاب على معاداة السامية هو لا اقل منه صرامة في برلين الشرقية مما هو في بون .

ما هو موقف الشعب الالماني من اليهود ؟ انه عموما يكرههم ، ليس فقط لان هتلر علمه ذلك ، ولكن لانه لا زال يذكر (ولو أنه لا يوجد من يجرؤ على كتابة ذلك) سيول اليهود المهاجرين الذين تدفقوا من بولونيا وشيكوسلوفاكيا وروسيا ودول البلطيق على بلاده في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، عندما استغل الالاف من هؤلاء المهاجرين المعدمين انهيار المانيا الاقتصادي ليكونوا الثروات السريعة في السوق السوداء قبل هجرتهم النهائية الى الولايات المتحدة وكندا . ان حرب حزيران لم تنس الالمان كراهيتهم التقليدية لليهود ، ولكن الانتصار الاسرائيلي أدى الى مزج هذه الكراهية بالاحترام والتقدير . فالاداء العسكري الجيد لقوم لم تعرف فيهم الروح العسكرية من قبل ، انتزع الاعجاب من الشعب الالماني العريق في العسكرية، والمحروم من التباهي بامجاده الحربية بأمر من الحلفاء . ولذا كانت الصحف الالمانية اول من عمد موشي ديان ثعلبا جديدا للصحراء وخليفة جديرا للماريشال رومل .

أما بالنسبة للطرف المغلوب والمظلوم ، فطبول الحرب المقدسة التي طالما اخافت اوربا في القرون الوسطى ، وظل صداها يقرع في عقل الاوربي الباطن ، هذه الطبول تلاشى وقعها وسط موجة الضحك والاستهزاء التي وجدت في العرب هدفا لها اثر هزيمتهم . ان العرب والمسلمين هما لفظان مترادفان بالنسبة للاوربي ، وبقدر ما يتعلق الامر به ، فان حرب حزيران لم تكن مجرد محاولة عربية مشروعة لتحرير ارض مغتصبة ، او على الاقل لصد عدوان سافر ، وانما كانت اندحارا منكرا لاخر حملة جهاد غير مقدس شنه الاسلام على الحضارة الغربية كما هي متمثلة في اسرائيل ، تلك القاعدة الامامية للدمقراطية والحرية ! والبارادوكس هنا هو أن الغرب الذي كثيرا ما اتهم العرب والشرقيين عامة بالاغراق في الغيبيات ، وبالتعصب الديني والطائفي ، هذا الغرب هو الذي يبحث اليوم محموما في القرآن والحديث النبوي والتراث الاسلامي عن آية او عبارة ليفسر بها على هواه خصلة في خلق العربي تبدو له سيئة ، او اجراء سياسيا اتخذته حكومة عربية ولم يصادف قبول الغرب . واصبحت الصحيفة الالمانية تستعين باستاذ اللاهوت او التاريخ في احدى الجامعات ليفسر لقرائها حركة المقاومة الفلسطينية من خلال الاطار الديني التقليدي للمسلمين .

ويذكرنا هذا الموقف بنادرة من نوادر الهير كوينر التي ألفها الشاعر والدرامي الالماني بيرت بريخت، ليفسر بها فلسفته في الحياة ، باعتبار ان كوينر يرمز له . يسأل احدهم الهير كوينر : ماذا تفعل عندما تحب شخصا ؟ فيجيب كوينر : اني اعمل رسما له واحرص على ان يشبهه . فيعود الاول ليسأل : من تعني ؟ الرسم ؟ فيرد الهير كوينر : لا ، الشخص . ان العنوان الذي وضعه بريخت لهذه النادرة القصيرة الحكيمة هو : عندما يحب الهير كوينر . فاذا قلبنا هذا العنوان الى : عندما تكره الصحافة الالمانية ، لوجدنا ان هذه الصحافة كانت حريصة دائما على ان يكون الشعب العربي شبيها بالصورة التي رسمتها له ، وليس العكس. ثم يجب الا تغرب عن بالنا حقيقة بسيطة ، وهي أن عدم وقوع ارض عربية تحت السيطرة الالمانية في التاريخ الحديث ، جعلت البلاد العربية غريبة عن الالمان . فالصحف الالمانية لم تكن يوما ذات الهام واحاطة بالمنطقة بنفس درجة الصحف البريطانية او الفرنسية ، او حتى الامريكية . فالى آخر يوم من حياة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود، كانت الصحف الالمانية تطلق عليه اسم ابن سعود ، مع ان ذلك هو لقب ابيه ، وهذا هو مجرد خطأ من اخطاء لا تحصى تقع فيها الصحف الالمانية عند التحدث عن العرب .

في البداية استقبلت الصحف الالمانية بروز حركة المقاومة الفلسطينية بعد حرب حزيران ، بعاصفة من التهكم والتشنيع . ولما كان الالماني هو بصورة عامة ، عكس الفرنسي او الانكليزي ، بطيء البديهة ، وثقيل الروح*، وسخريته تفتقر الى الخفة والرشاقة التي تجعل من السخرية في ارقى صورها فنا رفيعا يستدر في بعض الاحيان حتى

---

* في الادب الالماني الكلاسيكي كله لا توجد اكثر من حفنة مسرحيات كوميدية .